وقفة مع مخطوط "الجامع الكبير" للعلامة أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي

أ. أمينة صاري

أستاذة مساعدة بجامعة الجزائر 2

يُعتبر الشيخ العلامة أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي (ت 875/ 1470م) من بين علماء المغرب الأوسط الذين عُرِفوا بكثرة التآليف وتنوّع موضوعاتها؛ فقد كان عالما موسوعيا، اشتهرت كُتبه وانتشرت في حياته، وكان النُّساخ يختطفون الكِتَاب من بين يديه، فيقوموا بنسخه، يقول تلميذه السنجاسني:

"وإنّ في شيخنا هذا وتواليفه لسرّا بديعا وأمرا رفيعا، ولقد ظهرت تواليفه في حياته وسارت بها الرّكبان في الآفاق مع وجوده، وما ذاك إلاّ لسر أودعه الله فيه، ولم يطّلع عليه أحد من خلقه، مع صدق نيّته، وقصد النّفع لعباد الله [...] وربّما يكون في أثناء بعض تصانيفه والنّاس يختطفونه من يده ويتبعونه بالنّسخ، حتّى ربّما أدركه النّسخ قبل أن يستكمل الكرّاس فينتظرونه"[1]

---

[1] ذكر الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي والأستاذ عمّار طالبي أنّ هذا النّصّ موجود في مخطوطة *الجواهر الحسان* الّتي كانت بخزانة الجامع الكبير، ثمّ انتقلت الآن إلى خزانة وزارة الشّؤون الدّينيّة. ولكنّي عندما عدتُ إلى هذه المخطوطة لم أجد هذه الإجازة، فلربّما أنّها قد ضاعت – والله أعلم- أنظر: عبد الرحمن بن محمّد الجيلالي، *تاريخ الجزائر العام*، د.ط، دار الأمّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009، ج. 2، ص. 362؛ *الجواهر الحسان*، تحقيق عمار طالبي، (مقدمة المحقق)، ص. ظ.

ويعدّ مخطوط *الجامع الكبير* من بين أنفس ما ألّفه الثعالبي، بسبب محتواه القيّم؛ إذ أنّ به أكثر من مائة ترجمة لفقهاء مالكيّة، إضافة إلى رحلة الثّعالبي العلميّة، والإجازات التي تحصّل عليها من شيوخه، أمّا باقيه فيتناول مواضيع دينيّة مختلفة. ومن خلال هذا وجب علينا أولاً إعطاء لمحة بسيطة عن حياة عبد الرّحمن الثّعالبي، مع إبراز أهميّة دراسة هذا المخطوط، وتبيان محتواه وقيمته العلمية.

لمحة عن حياة الثعالبي ومشواره العلمي

هو عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف، أبو زيد[1]، ويُكنّى أيضا بأبي يحيى وأبي محمّد[1] **الثّعالبي** نسبة إلى قبيلته "الثّعالبة"، **الجعفري** نسبة إلى جعفر بن أبي

---

[1]- عن الثّعالبي. أنظر أيضا: أحمد بابا التّنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج*، تحقيق: علي عمر، ط. 1، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، 1423هـ/2004م، ص ص257- 260؛ محمد بن أبي القاسم الحفناوي، *تعريف الخلف برجال السلف*، ج. 1، ط. 1، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، بيروت، تونس، 1402هـ/ 1982م، ص ص 62- 68؛ محمّد بن محمّد مخلوف، *شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة*، ج. 1، ط. 2، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1349هـ، ص ص 264- 265؛ شمس الدّين محمّد بن عبد الرحمن السّخاوي، *الضوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع*، ج. 4، ط. 1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/ 1992م، ص ص 152- 153؛ إسماعيل باشا البغدادي، *هَدِيَّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين*، ج. 1، ط. 2، دار إحياء التّراث العربي، بيروت- لبنان، د. ت، ص ص 532- 533؛ عادل نويهض، *معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى منتصف القرن العشرين*، ط3، مؤسّسة نويهض الثّقافيّة للتّأليف والتّرجمة والنّشر، بيروت- لبنان، 1403هـ/ 1982م، ص ص 90- 91؛ يوسف اليان سركيس، *معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة، وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية، مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية 1339 الموافقة لسنة 1919 ميلادية*، ج. 1، د. ط، مكتبة يوسف اليان سركيس، القاهرة-مصر، 1928م، ص 661؛ أبو القاسم سعد الله، *تاريخ الجزائر الثّقافي*، ج. 1، ط. 6، دار البصائر للنّشر والتّوزيع، حسين داي- الجزائر، 2009م، ص ص 91- 93؛ أبو القاسم سعد الله، وآخرون، *موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين*، ج. 4، ط. 1، اعتنت بنشره المنظّمة العربيّة للتربية والثّقافة والعلوم، دار الجيل، بيروت- لبنان، 1425هـ/ 2005م، ص ص 807- 811؛ مسعود كواتي، محمّد الشّريف سيدي موسى، *أعلام مدينة الجزائر ومثّيجة*، ط. 1، دار الحضارة، الجزائر، 2006م، ص ص 94- 95.

طالب[2]، **الجزائري** نسبة إلى مدينة الجزائر[3]، **المغربي** نسبة إلى المغرب الإسلامي، **المالكي** نسبة إلى مذهب الإمام مالك بن أنس. وقد أضاف ناسخ كتابه "حقائق التّوحيد" إليه نسبة **الهواري**[4].

وُلد الثّعالبي في منطقة يَسِّر وهي بحسب تعبيره وادي مشهور شرقي مدينة الجزائر[5] وهي الآن تابعة لولاية بومرداس. اختلف المؤرّخون في تحديد تاريخ ميلاده بين ثلاث احتمالات هي: 785هـ/1383م، 786هـ/1384م، 787هـ/ 1385م، وكان هذا نتيجة الخلاف الّذي وقع بين والده وعمّه على تحديد تاريخ ميلاده[6]. ومن خلال

---

[1]- يذكر الأستاذ محمّد بن عبد الكريم أنّ تكنية الثّعالبي بأبي زيد إنّما هي تكنية اصطلاحيّة، مُتعارف عليها لذا العلماء، فهم يُكنّون كلّ من اسمه عبد الرّحمن بأبي زيد. وإنّما كنيته الحقيقيّة أبو يحيى نسبة لولده يحي، وأبو محمّد نسبة إلى أولاده الثّلاث المسمّين بمحمّد. أنظر: محمّد بن ميمون الجزائري، *التّحفة المرضية في الدّولة البكداشيّة في بلاد الجزائر المحميّة*، تحقيق: محمّد بن عبد الكريم، ط. 1، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1392هـ/ 1972م، الملحق رقم 3، ص. 344.

[2]- ذكر أبو راس النّاصري نسب الثعالبي في سياق حديثه عن قبيلة الثّعالبة، وأوصله إلى علي بن أبي طالب ﷺ، ونقل صاحب "القول الأحوط" هذا النّسب وأوصله إلى هشام بن عبد مناف. انظر: محمّد بن أحمد أبو راس النّاصري، *عجائب الأسفار ولطائف الأخبار*، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة (الحامّة)، رقم 1633، ق 24 و؛ ابن خلدون، *العبر*، مج. 6، ص. 121؛ مجهول، *القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم في المغربين الأقصى والأوسط*، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة (الحامّة)، رقم 3185، ق 7.

[3]- أنظر: الثّعالبي، *الجامع الكبير*، ق 39 ظ.

[4]- عبد الرّحمن الثّعالبي، *حقائق التّوحيد*، تحقيق: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، ط خاصّة، عالم المعرفة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2011، ص. 23.

[5]- الثعالبي، *الجامع الكبير*، ق 39 ظ. ويسر الآن هي إحدى بلديات ولاية بومرداس، تقع شرق الجزائر العاصمة بحوالي 60 كلم.

[6]- عبد الرحمن الثعالبي، *غنيمة الوافد وبغية الطّالب الماجد، فهرسة مرويّات ومؤلّفات فخر الجزائر الإمام المسند الشّيخ عبد الرحمن بن محمّد بن مخلوف الثعالبي المتوفّى سنة 875 هـ ويليها رحلة عبد الرحمن الثعالبي*، تحقيق: محمّد شايب شريف، ط. 1، دار ابن حزم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1426هـ/ 2005م، ص. 29.

استنطاقي لبعض النّصوص الواردة في كتب الثّعالبي، توصّلت إلى نتيجة مفادها أنّه ولد في أحد السنوات التالية: 784هـ، 785هـ، 786هـ، 787هـ[1].

نشأ الثّعالبي في مدينة الجزائر، ولمّا شبّ تاقت نفسه إلى الرّحلة في سبيل طلب العلم، فزار أماكن مختلفة، اقتبس العلم في كلّ منها من خيرة شيوخها. كانت بداية رحلته في أواخر القرن الثّامن الهجري، من منطقة يَسِّر شرقي مدينة الجزائر، دخل بجاية سنة 802هـ/ 1399م، وبقي بها إلى سنة 809هـ/ 1406م[2]. ثم قصد مدينة تونس في أواخر سنة 809هـ/ 1406م، أو أوائل سنة 810هـ/ 1407م[3]. ومنها اتجه إلى مصر ومكة. ويذهب الشيخ عبد الرحمن الجيلالي إلى أنّ الثعالبي زار مدينة بورصة بتركيا[4]. وبعد هذا رجع الثعالبي إلى مصر، ومنها إلى تونس[5].

---

[1]- يذكر الثعالبي في النصوص التي استشهدت بها، السنة التي انتهى فيها من تأليف أحد كتبه مع سِنِّهِ حينها، ومن خلالها استطعت حساب سنة مولده. وللعلم أنّه لا يوجد توحيد في هذه السنوات. أنظر: أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي، *تراجم الفقهاء المالكية من خلال مخطوط "الجامع الكبير" للشيخ عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ/ 1470م)*، دراسة وتحقيق: أمينة سليمة صاري، إشراف الدّكتورة: نبيلة عبد الشكور، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة- الجزائر، 1432- 1433هـ/ 2011- 2012م، ص ص 28- 31 (مقدمة التحقيق).

[2]- في 24 جمادى الآخرة من سنة 803هـ/ 1400م وصله خبر وفاة الشّيخ أبي عبد الله محمّد بن عرفة الورغمي. الثّعالبي، *الجامع الكبير*، ق 39 ظ. **ملاحظة:** يذكر الأستاذ محمّد بن عبد الكريم أنّ الثّعالبي دخل إلى بجاية مع أبيه، ولمّا مات أبوه الّذي دفن بها، عاد إلى مدينة الجزائر لتفقّد أقاربه، ثمّ رجع مجدّدا إليها، وما يؤكد قوله هذا، هو ما ذكره هو نفسه في كتاب *الرؤى والمنامات*، إذ قال: "حدّثني أبي رحمه الله تعالى في عام ثلاثة وثمانمائة [...] وإنّما حدّثني والدي بهذا ببجاية [...] ثمّ مات والدي رحمه الله، وقدمتُ على قرابتي زائرا، فكان من كلام عمّي عمر بن مخلوف [...]". وهذا النّصّ يُبيّن صدق ما ذهب إليه محمّد بن عبد الكريم، وأنّه التقى في عودته إلى مدينته الأم بعمّه عمر. انظر: الثعالبي، *كتاب الرؤى والمنامات*، تحقيق: عبد الرحمن دوَيب، ط خاصة، عالم المعرفة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 2011، ص 41؛ *التحفة المرضية*، الملحق رقم 3، ص. 336.

[3]- الثّعالبي، *الجامع الكبير*، ق 39.

[4]- الجيلالي، *تاريخ الجزائر العام*، ج. 2، ص. 360.

[5]- من خلال دراستي استنتجت أنّ الثعالبي كان في مصر في ذي القعدة 816هـ/ 1413م، وبقي بها إلى ما بعد سنة 817هـ/ 1414م، وأنه رجع إلى تونس بعد هذه السنة، وبقي بها إلى أواخر سنة 820 هـ/ 1417م.

بعد أن قضى أزيد من عشرين سنة متجوّلا بين مختلف الحواضر الإسلاميّة عاد إلى "مدينة الجزائر" في الفترة ما بين 820هـ/ 833هـ[1]. ويُقال أنّ سبب استقراره بها هو أنه لمّا دخلها مرّ بأحد الأزقّة فسمع ولدا في المدرسة القرآنيّة يقول: {**بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**} (سبأ: 15)، فقرّر الإقامة بها[2].

تلقّى الثّعالبي خلال رحلته العلم على عدد من الشّيوخ منهم: أبو الحسن علي المانجلاّتي، وأبي الحسن علي بن محمّد اليليلتني، وأبي مهدي عيسى الغبريني، وأبي عبد الله محمّد بن خلفة التّونسي الوشتاني الشّهير بالأُبّي، وأبي القاسم بن أحمد البرزلي، وأبي زرعة ولي الدّين أحمد العراقي، وأبي عبد الله محمّد القلشاني، وابن مرزوق الحفيد التّلمساني، وأبي محمّد عبد الواحد الغرياني[3].

أمّا عن تلامذته، فمنهم: أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم بن الجليل السنجاسني[4]، وعبد الجليل بن محمّد بن عثمان الزّروالي الرّاشدي[1]، وأبي العبّاس أحمد

---

[1]- عن رحلة، أنظر: الثعالبي، *الجامع الكبير*، ق 39- 40؛ وعن تواجد الثعالبي في مدينة الجزائر سنة 833هـ أنظر: محمّد بن أحمد أبو راس النّاصري، *عجائب الأسفار*، ق 24 و. أنظر أيضا: مجهول، *القول الأحوط*، ق 8.

[2]- الثّعالبي، *الأنوار في آيات النّبي المختار*، تحقيق: محمّد الشّريف قاهر، ج. 1، ط. 1، دار التّراث ناشرون- دار ابن حزم للطّباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1426هـ/2005، ص 103- 104؛ نور الدّين عبد القادر، *صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي*، ط2، نشر كلية الآداب الجزائريّة، قسنطينة- الجزائر، 1965.

[3]- الثعالبي، *الجامع الكبير*، ق 39- 40، 43ظ، 45- 46 و.

[4]- أحد تلاميذ الثّعالبي نسخ السّفر الأوّل من "الجواهر الحسان" بخطّ يده، وفي نهاية هذا السفر توجد إجازة له بخط الثّعالبي، أجاز له فيها أن يروي عنه جميع هذا السّفر ورواية الّذي يليه، وجميع تصانيفه ومرويّاته، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة 847هـ/1443م، وقد وصفه شيخه في هذه الإجازة بـ"الفقيه الأنجب الفاضل". وكان السنجاسني قد انتهى من النسخ بتاريخ يوم الثلاثاء 12 رمضان سنة 843هـ/ 1439م. كما تحتوي هذه المخطوطة في العديد من أوراقها على تعليقات أخرى في الهامش بخط الثّعالبي جاء في إحداها: "بلغ قراءة تفهم وكتب عبد الرحمن بن محمد الثعالبي لطف الله به أواخر رجب من عام سبعة وأربعين وثمان ماية والحمد لله". انظر: عبد الرّحمن بن مخلوف الثّعالبي، *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، مخطوط بوزارة الشّؤون الدّينيّة، الجزائر، رقم 26، السفر1، ق 40، 342؛ والأوراق التي بها تعليقات الثعالبي هي: 40، 56، 106، 125،

بن عبد الله الزواوي الجزائري، وعبد الرحمن الغبريني[2]، وأحمد زروق، وابن مرزوق الكفيف، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي[3].

توفي الشّيخ عبد الرحمن الثعالبي رمز مدينة الجزاير عن عمر يناهز التسعين سنة، "ضحوة يوم الجمعة 23 رمضان المعظم سنة 875هـ"[4]. الموافق لـ 15 مارس 1470م[5]، ونُقِلَ جثمانه من منزله القريب من الجامع الكبير (المسجد)، ودُفن في ربوة خارج باب الواد تعرف بـ "جبّانة الطلبة"، أين يوجد ضريحه[6].

135، 154، 166، 201، 251، 262، كما يحتوي المخطوط على وقف مؤرّخ بتاريخ أواسط صفر عام 872هـ/ 1467م، في الورقة الأولى منه.

[1]- قام بنسخ مخطوط "غنيمة الوافد وبغية الطّالب الماجد" في 3 ذي الحجّة من سنة 873هـ/ 1468م، وبآخر هذه المخطوطة يوجد نص استدعاء التمس به الإجازة من شيخه الثّعالبي. انظر: *غنيمة الوافد*، ص ص 15، 79- 80.

[2]- *معجم أعلام الجزائر*، ص. 36؛ *تاريخ الجزائر الثّقافي*، ج. 1، ص ص 83- 84.

[3]- عن تلامذة الثعالبي أنظر: المصادر التي ترجمت للثعالبي وذكرت بعضا منهم والتي أوردتها في الإحالة رقم 2.

[4]- *تاريخ الجزائر العام*، ج. 2، ص. 365.

[5]- عن مناقشة مسألة سنة وفاة الثعالبي. أنظر: عبد الرحمن الثعالبي، *تراجم فقهاء مالكية من خلال مخطوط الجامع الكبير*، دراسة وتحقيق أمينة سليمة صاري، ط. 1، دار ابن حزم، دار الزواوي، بيروت- لبنان، حسين داي- الجزائر، 1436هـ 2015م، ص ص 74- 77 (مقدمة التحقيق).

[6]- خلّف الثّعالبي أربعة من الأولاد: محمّد الكبير، ومحمّد الصّغير، ومحمّد المعروف بابن الصالحيت، ويحيى، توفّي محمّد الصّغير سنة 846هـ/ 1442م بالطّاعون، وتوفّي أخوه محمّد بن الصّالحيت سنة 851هـ/ 1447م وخلّف من البنات أربعا كذلك، هنّ: فاطمة، رقيّة، محجوبة، وعائشة، توفّيت بناته الثّلاثة المذكورات أوّلا صغيرات في السّنّ سنة 841هـ/ 1437م، فيما كانت ابنته عائشة حيّة في سنة وفاة أخيها ابن الصالحيت، وقد دفن الثعالبي في نفس مكان دفن أولاده، والملاحظ أنّ أولاده لم يتركوا عقبا إلاّ ولده محمّد الكبير فقد خلّف بنتا اسمها "كلّة". أمّا عن زوجة الثّعالبي فيذكر الأستاذ محمّد بن عبد الكريم نقلا عن مخطوط *أنباء أبناء الزّمان* للشّيخ علي بن الحاج موسى، أنّ اسمها مريم، وهي أمّ جميع أولاده، أمّا عن أبيها فيقول الشّيخ المذكور: "ولم أقف على اسم أبيها صهر الشّيخ [سيدي عبد الرّحمن]، وإنّما وقفت على تاريخ وفاته بالجزائر من غير وجود تصريح باسمه بأوائل ربيع الثّاني عام 841هـ، وأنّه دفن بمقبرة آل صهر الشّيخ المذكور الآتي ذكرها [مقبرة الطلبة]" . وقد ذكر الثّعالبي عن صهره ما يلي:" وفي أوائل ربيع الثّاني من هذه السّنة

مؤلّفــات الثّعالبــي

من أبرز مصنّفاته: *روضة الأنوار ونزهة الأخيار*، *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، *المختار من الجوامع في محاذاة الدّرر اللّوامع في أصل مقرأ الإمام نافع*، *شرح مختصر ابن الحاجب*، *الأنوار في آيات النّبي المختار*، *العلوم الفاخرة في النّظر في أمور الآخرة*، *جامع الفوائد*، *جامع الأمّهات في أحكام العبادات*، *غنيمة الوافد وبغية الطّالب الماجد*، *كتاب الرُّؤى والمنامات*، *إرشاد السّالك لما فيه من مصالح العباد*، *جامع الخيرات المُصنّف بقرب المَمات*، *جامع الهمم في أخبار الأمم*، وغيرها من المؤلفات التي تزيد عن التسعين مؤلفا.

إثبات عنوان مخطوط "الجامع الكبير"

عند التّطرّق إلى مسألة عنوان المخطوط نجد أمامنا العديد من الاحتمالات والآراء، وسبب ذلك أنّ النّسخة الأصلية رقم 851 المتواجدة بالمكتبة الوطنيّة مبتورة الأوّل، ممّا يعني أنّ العنوان قد فُقد. وهذه الاحتمالات هي كونه نسخة مسودّة من مخطوط *العلوم الفاخرة في النّظر في أمور الآخرة*[1]، أو أنّه *طبقات*

[841هـ] توفّي صهري أبو زوجتي وكان خيّرًا". انظر: الثّعالبي: *كتاب الرؤى والمنامات*، ص. 62؛ *الجامع الكبير*، ق 47 و؛ *غنيمة الوافد*، ص 29؛ *تاريخ الجزائر العام*، ج2، ص 365- 366؛ *التحفة المرضية*، الملحق رقم 3، ص 343- 345.

[1]- ذهب إلى هذا القول "إدموند فانيان" (Edmund Vanyan)، إذ اعتبر المخطوط رقم 851 نسخة أوّليّة من مخطوط *العلوم الفاخرة* رقم 850، هذا الاحتمال غير مقبول في نظري باعتبار أنّ الثّعالبي انتهى من تأليف هذا المخطوط سنة 847هـ/ 1443م، فيما ابتدأ جمع وتأليف كتابه *العلوم الفاخرة في النّظر في أمور الآخرة* سنة 849 هـ/ 1445م، وانتهى من تأليفه ككل عام 850هـ/ 1446م. انظر: الثّعالبي، *الجامع الكبير*، ق 47ظ، 204ظ؛ الثّعالبي، *العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة*، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية (الحامة)، رقم 850، ق 1 ظ، ق 631 و؛ عبد القادر أوقاسي، *مخطوطات المؤلّفين الجزائريين في المكتبة الوطنيّة الجزائريّة: فهرس فانيان - دراسة تحليليّة-*، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علم المكتبات والتّوثيق، إشراف: الدّكتور عبّاس صالح طاشكندي، وبمشاركة: الدّكتور محمود بوعيّاد، 1996- 1997، ص 168، هـ58، 59.

Edmund Vanyan, *Bibliographies et Catalogues -10- Catalogue General des Manuscrits, de la Bibliothèque Nationale d'Algérie (Première tranche: du nº1 au nº 1987)*, Pare, Fagnan, Bibliothèque Nationale d'Algerie.

الفقهاء المالكيّين[1]، أو *روضة الأنوار ونزهة الأخيار*[2]، أو *جامع الهمم في أخبار الأمم*[3]، أو *جامع الفوائد*[4].

---

[1]- اتخذ الأستاذ رابح بونار هذا العنوان كاسم للمخطوط، لكّنه علّق في الهامش بقوله: "و أطلقنا اسم *طبقات الفقهاء المالكيين* للإمام الثّعالبي على كتاب له في التّراجم والوعظ [...] وقد يكون للكتاب اسم آخر لم نهتد بعدُ إلى معرفته، خصوصا والكتاب مبتور الأوّل". نلاحظ أنّ هذا العنوان ليس هو العنوان الحقيقي وإنّما هو يُمثّل محتوى المخطوط، وما يؤكّد ذلك هو وجود حوالي أربع مخطوطات في المكتبة الوطنيّة تحمل هذا العنوان، ومؤلّفوها مجهولون، عندما اطّلعت على أسماء هذه المخطوطات الأربع تبادر إلى ذهني الشّكّ في أن تكون إحداها نسخة من المخطوط المراد تحقيقه، وبعد أن تفحّصتها، تبيّن لي أنّ المخطوط رقم 2842 هو فعلا نسخة من *الجامع الكبير*. انظر: رابح بونار. "عبد الرّحمن الثّعالبي دفين الجزائر"، *مجلّة الثّقافة*، وزارة الإعلام والثّقافة بالجزائر، السّنة الثّانية، العدد 7، محرم 1392هـ/ مارس 1972م، ص. 46.

[2]- هذا الاسم هو لمخطوط آخر للثّعالبي، يتشابه نوعا ما من ناحية المحتوى مع *الجامع الكبير* وقد شككت أنا بدوري في أن تكون المخطوطتان عبارة عن كتاب واحد، وبعد اطّلاعي على *روضة الأنوار* ومقارنتها بـ*الجامع الكبير* تبيّن لي أنّ تمّت اختلافات كثيرة بينهما، من ناحية المحتوى ومن ناحية تاريخ تأليفهما فقد ألّف الرّوضة سنة 832هـ/ 1428م، وألّف الجامع سنة 847هـ/ 1443م. انظر: عبد الرحمن الثّعالبي، *روضة الأنوار ونزهة الأخيار*، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة (الحامّة)، رقم 884، ق 2، 8 و؛ أوقاسي: المرجع السابق، ص 157.

[3]- ذكر الدّكتور أبو القاسم سعد الله هذا الاحتمال لكنّه نفاه، وما يؤكّد أنّ الكتابين منفصلان أنّ الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي ذكرهما منفصلين، فقال أنّ "*جامع الهمم في أخبار الأمم* عبارة عن سفرين ضخمين"، وأشار إلى كتاب *الجامع الكبير* عندما تحدّث عن النّبذة الّتي نُشرت منه، وقال أنّ الثّعالبي وضعه ملحقا بشرحه على مختصر ابن الحاجب الفرعي، ولا يخفى على أحد أنّ الشّيخ الجيلالي من بين أكثر النّاس المُطّلعين على تراث الثّعالبي، وما ألّف عنه، إذ تحتوي خزانته على نفائس كثيرة، كما أنّه الوحيد من ذكر هذا التّأليف، وكلّ من أتى بعده من الباحثين ينقل عنه في هذه النّقطة، ممّا يجعلنا نحتمل أنّ خزانته تحتوي على نسخة منه. ثمّ إنّ عنوان *جامع الهمم في أخبار الأمم* يدلّنا على أنّه قد يكون كتابا في التّراجم كما أشار الدّكتور سعد الله، أو يكون كتابا تاريخيا، وربّما تاريخ سياسي، مثلا أخبار الدّول. ومن خلال هذا نستنتج أنّ احتمال أن يكون هذا هو عنوان المخطوط مستبعدا. انظر: الجيلالي، *تاريخ الجزائر العام*، ج. 2، ص. 363؛ سعد الله، *تاريخ الجزائر الثّقافي*، ج. 1، ص ص 69- 70، هـ1.

[4]- أشار عليّ بهذا الاحتمال الأستاذ محمّد شايب شريف، ولكن ما قد يجعل هذا الاحتمال مستبعدا هو أنّ الثّعالبي في *غنيمة الوافد* عندما عدّد مؤلّفاته ذكر الكتابين - أي *الجامع الكبير* و*جامع الفوائد*- منفصلين، وكذلك الأمر بالنّسبة للشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي. أنظر: *غنيمة الوافد*،

وبعد الدراسة والبحث تمكّنت اعتمادا على مجموعة من الأدلّة؛ التّوصّل للعنوان الصّحيح وهو **الجامع الكبير** استنادا على ما يلي:

- يذكر الثعالبي عنوان المخطوط أي *الجامع الكبير* في العديد من مؤلّفاته الأخرى، مثل *غنيمة الوافد* إذ قال: "وشرحنا لابن الحاجب الفرعي *والجامع الكبير* الملحق به"[1]، فيما يذكر عنوان المخطوط، ومحتواه، وسبب تأليفه في كتابه *جامع الأمّهات في أحكام العبادات* عند حديثه عن مؤلّفاته، إذ يقول: "وشرحنا لابن الحاجب الفرعي، *والجامع الكبير* الملحق به"[2]، ثمّ يقول: وقد عرّفت برحلتي وبمشايخي في *الجامع* الملحق بشرح ابن الحاجب لمّا سألني ذلك بعض فضلاء أصحابي"[3].

- ورد ذكر اسم "الجامع" في اللّوحة رقم 144 ظ من مخطوط *الجامع الكبير*، إذ يقول: "وقد تقدّم أنّ قصدي في *الجامع*، جمع الفوائد من غير التفات إلى ترتيب على عادة السلف"[4].

- تحمل نسخة طولقا عنوان "الجامع"، إذ ورد في مقدّمتها ما يلي: "هذا كتاب *الجامع* للشّيخ الثّعالبي، يقول العبد الفقير إلى الله، الغنيّ به عن ما سواه عبد الرّحمان بن محمّد الثّعالبي"[5].

- تذكره بعض المصادر مثل ما قاله الكتاني: "ترجم الشّيخ نفسه في كتابه *الجامع*، فذكر أنّه رحل من الجزائر في طلب العلم"[6]، ويذكره محمّد حفيد سعيد

ص ص 28- 29؛ الثّعالبي، *جامع الأمّهات في أحكام العبادات*، تحقيق: موسى اسماعيل، ج. 1، طبعة خاصّة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 303؛ الجيلالي، *تاريخ الجزائر العام*، ج. 2، ص. 363.

[1]- *غنيمة الوافد*، ص 28.

[2]- *جامع الأمّهات*، ج .1، ص. 303.

[3]- المصدر نفسه، ج .1، ص. 304.

[4]- الثعالبي، *الجامع الكبير*، ق 114 ظ.

[5]- الثعالبي، *الجامع*، نسخة طولقا، ج1، ق 1 و.

[6]- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، *فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، ج. 2، دط، المطبعة الجديدة الفاسية، الطالعة، 1347، ص 131.

قدّورة في كتابه *جليس الزّائر وأنيس السّائر* عند نقله لنص رحلة الثّعالبي وإجازاته العلميّة من *الجامع الكبير*، إذ يقول: "ومن كتاب *الجامع* لسيدي عبد الرّحمن الثّعالبي ما نصّه. فصل: قال المسيلي: وُلد شيخنا أبو عبد الله محمد بن عرفة"[1]. وهذا النص هو نفسه الموجود في المخطوط.

من خلال ما سبق نلاحظ أنّ العنوان يتمحور في ثلاثة أسماء "الجامع"، "الجامع الكبير"، و"الجامع الكبير الملحق بشرح ابن الحاجب"، فنستنتج أنّ عنوان المخطوط هو "الجامع الكبير"، ويختصره الثّعالبي بقوله "الجامع"، أمّا مسألة إلحاقه بشرح ابن الحاجب فلا تُعتبر ضمن العنوان بالنّظر إلى أنّ الثّعالبي لم يذكرها في النّصوص الّتي أوردتها من مؤلّفاته باعتباره جزء من العنوان؛ وإنّما لأنّه صنّف "الجامع الكبير" ليكون ملحقا بهذا الشّرح.

النّسخ المخطوطة المعتمد عليها

اعتمدت في تحقيق مخطوط *الجامع الكبير* على ثلاث نسخ، ووصلت إليَّ أخبار نسختين أخريين لم أتمكّن من الحصول عليهما، وفيما يلي بيان المخطوطات الّتي اعتمدت عليها في التّحقيق والمقابلة:

أ. نسخة المكتبة الوطنيّة الجزائريّة رقم 851

اعتبرها "إدمون فانيان" نسخة مسودّة من كتاب *العلوم الفاخرة في النظر إلى أمور الآخرة*، وأنها كُتبت بخط الثعالبي، بينما اسمها الحقيقي *الجامع الكبير* الذي توصلتُ إليه بناء على مجموعة من الأدلة سبق الإشارة إليها.

تقع في 206 لوحة، منها 48 في القسم الّذي قمت بتحقيقه، ابتداء من الورقة الأولى إلى غاية الورقة 47، مع العلم أنّه يوجد تكرار الرّقم 44 مرّتين، لذا فإنّ ما حقّقته يقع في 48 لوحة وليس 47. كاتبها الثّعالبي بخط يده، انتهى من التّأليف إلى غاية الورقة 47 في أواخر محرّم سنة 847هـ/ 1443م، ومن التّأليف ككل في أواخر صفر من

[1]- محمّد بن سعيد قدّورة، *جليس الزّائر وأنيس السّائر*، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة (الحامّة)، رقم 2600، ق 121.

نفس السّنة، تبدوا وكأنّها تأليف أوّلي للكتاب، وهي مبتورة الأوّل والوسط عند نهاية الورقة 19 وجها.

كُتبت بخط مغربي، لون الحبر أسود، تحتوي على تشكيل الأبيات الشّعريّة، وبعض الكلمات الأخرى. حالتها الماديّة ورقها به آثار أرضة وترميمات كثيرة، ورطوبة؛ لكنّها مع ذلك مقروءة. مسطرتها: 197×140 مم، عدد الأسطر بالورقة مختلف ما بين 23، و24 سطرا، وهي تحتوي على التّعقيبة.

يوجد تعليق بخط "فانيان" في الواجهة جاء فيه: "طبقات الفقها المالكيّة مع سيدي عبد الرّحمن الثّعالبي في الوعظ مع إجازاته للكتب الّتي قرأ وعدّها[1]. وقد توصّلت إلى جملة من الملاحظات حولها، منها:

- يمكن القول أن هذه المخطوطة هي فعلا مكتوبة بخط يد الثعالبي، وذلك استنادا إلى مقارنتها بما ورد في آخر مخطوطة *الجواهر الحسان* المتواجدة في وزارة الشّؤون الدّينيّة رقم 26، إذ توجد بنهايتها إجازة مكتوبة بخط يد الثّعالبي لناسخ المخطوطة أبي إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم بن الجليل السنجاسني أجاز له فيها أن يروي عنه جميع هذا السّفر ورواية الّذي يليه، وجميع تصانيفه ومرويّاته، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة 847هـ/ 1443م، وكان السنجاسني قد انتهى من النسخ يوم الثلاثاء 12 رمضان سنة (843هـ/ 1439م، كما تحتوي هذه المخطوطة في العديد من أوراقها[2] على تعليقات أخرى في الهامش بخط الثّعالبي جاء في إحداها: "بلغ قراءة تفهم وكتب عبد الرحمن بن محمد الثعالبي لطف الله به أواخر رجب من عام سبعة وأربعين وثمان ماية والحمد لله"[3].أي أنّ زمن كتابة هذه الإجازة كان قبل

---

[1]- ذكر هذا التّعليق الأستاذ أوقاسي، في البداية لم أعرف أين يقع عندما اطّلعتُ على النّسخة المصوّرة، ولكن بعد معاينتي للنّسخة الأصليّة بنفسي تبيّن لي أنّها تأتي في الواجهة وأنّها لم تُصوّر. أنظر: أوقاسي: المرجع السّابق، ص 169.

[2]- هذه الأوراق هي: 40، 56، 106، 125، 135، 154، 166، 201، 251، 262، كما يحتوي المخطوط على وقف مؤرّخ بتاريخ أواسط صفر عام 872ه/ 1467م، في الورقة الأولى منه.

[3]- عبد الرّحمن بن مخلوف الثّعالبي، *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، ج.1، مخطوط بوزارة الشّؤون الدّينيّة، الجزائر، رقم 26، ق 40. وانظر نص الإجازة: ق 342.

أن ينتهي الثّعالبي من تحرير *الجامع الكبير*، والخطّ بين هذه الإجازة، والنّسخة متشابه لدرجة كبيرة.

- ❖ أنّ هذه النسخة مبتورة الوسط، عند اللوحة رقم 19[1].
- ❖ أنّها تحتوي على الكثير من الترّميم، الذي يصعّب عمليّة القراءة، ويحجب بعض الكلمات والعبارات، وفي الورقة 205 ظهرا يحجب التّرميم نصف الورقة فلا نعلم إن كان ثمّة نصّ حجب مع التّرميم.
- ❖ الورقة الأخيرة وما قبل الأخيرة كتبتا بخط مغاير عن أصل المخطوط، وتبدوان من حيث موضوعهما، ومن حيث الخطّ وطريقة الإلصاق، وكأنّهما

---

[1]- عند قراءتي لمخطوط " الجامع الكبير" بدا لي وكأن تمّت نقصا في الكلام في هذا الموضع مما قد يكون ضياعا لورقة أخرى تربط بين شطري الورقة 19، إذ أنه في وجهها حديث ينتهي بسنة وفاة الشيخ أبي الحسن الكانشي وهي (347ه/958م)، فيما يحتوي ظهر الورقة على معلومات عن وفاة شيخ آخر اسمه أبو حفص توفي سنة (343ه/954م)، وما قد يؤكد النظرية أنّ وجه الورقة ينتهي بتعقيبة كتب فيها (وتسعين)، فيما يبدأ ظهر الورقة بـ (الله تعالى).

وقد ترجم الثعالبي للكانشي في " روضة الأنوار"، ونصّ الترجمتين متشابه ما عدا بعض الزّيادات في الرّوضة، وهي تنتهي بذكر خبر وفاته وسكرات موته ولا يتواصل الحديث ليشمل النّصّ الموجود في ورقة 19 ظهرا الذي في الجامع الكبير، وفي ترتيب المدارك: تنتهي التّرجمة كذلك بذكر وفاته وكفنه، ودفنه.

بعدما قمت بالمقارنة بين مخطوط "الجامع الكبير" ومخطوط "روضة الأنوار" تبيّن لي أنّ "الأصل" هو فعلا مبتور الوسط عند الورقة 19 وجها التي تنتهي بوفاة الكانشي، إذ توصّلتُ إلى أنّ الفقرة التي تبدأ بها الورقة 19 ظهرا هي في الواقع جزء من ترجمة عالم آخر هو أبو حفص عمر بن مسرور العسال، المتوفّى سنة (343 ه/954م)، ولكنّنا لا نعلم ما هو عدد الأوراق المبتورة، ولا عدد التّراجم التي ضاعت مع ما ضاع، مع العلم أنّ الثّعالبي في روضة الأنوار قد ترجم لعدد من الفقهاء ما بين ترجمة الكانشي وترجمة أبي حفص العسال، هم أبو حفص عمر بن عبد الله بن يزيد المعروف بابن الإمام الصدفي، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي، وأبو عبد الله محمد بن مسرور والد أبي حفص العسال، مع العلم أنّه ليس بالضّرورة أن تكون هذه الأسماء هي نفس الأسماء المبتورة لأنّ ترتيب العلماء ما بين المخطوطتين يختلف، فقد تقدّم ترجمة على أخرى، وقد تختصر إحداها فيما تطول الأخرى، وقد تكون في أحيان أخرى متشابهة من حيث التّرتيب والمحتوى، وقد يحتوي على تراجم غير موجودة في "الجامع الكبير". أنظر: **الجامع الكبير**، ق 19؛ **روضة الأنوار**، ق 39- 41؛ **ترتيب المدارك**، مج2، ج3، ص 373.

دخيلتان على المخطوطة، وقد ورد في الورقة الأخيرة هذا النّصّ: "صلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه والحمد لله. وجدت بخط أحمد بن عبد الله الزواوي - قدّس الله روحه ونفع به- ألا قل لمن رام إدراكا لخالقه العجز عن درك الإدراك إدراك، وكل من أبى إلا تحقّقه فغايته عجز وإدراك". ومن عبارة "قدّس الله روحه" ندرك أنّ الشّيخ الزّواوي ت. 884 هـ/ 1479م - تلميذ الثّعالبي - عند كتابة هذه الأسطر كان قد توفّي، فلربّما أنّ هذه العبارات زيدت بعد هذا التّاريخ، هذا إن كانت هذه الورقة فعلا من أصل المخطوطة.

وقد اخترت هذه المخطوطة لتكون نسختي "الأمّ" أو "الأصل"، وذلك لكونها كتبت بخط يد المؤلّف، وأنّها وإن كانت مبتورة الأوّل، وتحرير أوّلي للكتاب، إلاّ أنّها خالية من الأخطاء، وبمقارنتها بالنّسختين الأخريين نجدها أحسن من النّسخة (ب) في كون هذه الأخيرة مبتورة الأوّل والآخر، وأحسن من النّسخة (ج) لأنّ هذه الأخيرة وإن كانت كاملة فإنّها مليئة بالأخطاء الإملائيّة واللّغويّة، وفقدان لبعض الفقرات.

ب. نسخة المكتبة الوطنيّة رقم 2842:

فُهرست هذه المخطوطة بعنوان *كتاب في تراجم بعض العلماء المالكيّة*، واعتبر مؤلّفها مجهولا، وبعد اطّلاعي عليها يوم الأحد 26 جوان 2011 ومقارنتها مع المخطوطة الأصليّة، تبيّن لي أنّها عبارة عن نسخة منها، وأنّ الثّعالبي هو من ألّفها. عدد أوراقها 21، الورقة 1، و20 ظهرا بيضاء، والورقة 21 بها فهرسة ليست من أصل المخطوط، كُتبت بخطّ مغربي جميل، بحبر أسود للنّصوص، وأحمر للعناوين، تحتوي على تشكيل للأبيات الشّعريّة، وبعض الكلمات الأخرى، عدد الأسطر في الورقة موحّد به 23 سطر، ما عدا الورقة 18، و19 بهما 24 سطر، والورقة 20 وجها بها 6 أسطر، مسطرتها: 244×195مم[1]، بها بعض التّعليقات حول النّصّ، والتّعقيبة موجودة، وهي لا تحتوي على اسم النّاسخ أو تاريخ النّسخ، لكن من مظهرها تبدوا وكأنّها حديثة نوعا ما. وقد سجّلتُ حولها بعض الملاحظات منها أن

[1]- عاينتُ هذه المخطوطة بنفسي يوم الأحد 15 جويلية 2012م بعدما كُنتُ قد تحصّلتُ على نسخة مصوّرة منها قبلا، وأعدتُ قياس مسطرتها.

بدايتها هي نفس بداية "الأصل" مع العلم أنّ كلاهما مبتورتان، ونهايتها هي نهاية المكان المبتور في وسط المخطوطة "الأصل"، ممّا يجعلنا نشكّ أوّلا في أنّها منقولة منها، وثانيا في أنّها ليست مبتورة وإنّما تعمّد ناسخها بدايتها من ذلك الموضع والتّوقف في نسخها عند الموضع الآخر، خصوصا أنّ الورقة 20 منها كتبت بها 6 أسطر فقط وباقي الورقة عبارة عن بياض.

ج. نسخـة طولقا

هذه المخطوطة محفوظة في الزّاوية العثمانيّة بطولقا، تحمل اسم *الجامع*، ناسخها وتاريخ نسخها مجهولان، لكنّها تبدوا حديثة النّسخ. يقع المخطوط ككل في ثلاث أجزاء، ويدخل القسم الّذي حقّقته في الجزء الثّالث، عدد لوحاتها 297 لوحة في الجزء الأوّل، و288 في الجزء الثّاني، و332 لوحة في الجزء الثّالث، منها 67 في القسم الّذي حقّقته، عدد الأسطر في الورقة موحّد وهو 20 سطر، كتبت بخط مغربي، بالحبر الأسود للنّصوص، وأحمر للعناوين، يوجد بها بعض التّشكيل، حالتها الماديّة: جيّدة جدّا، لكنّها تحتوي على العديد من الأخطاء الإملائيّة واللّغويّة، وهي نسخة كاملة، تحتوي على التّعقيبة، ولا تحتوي على أرقام الورقات. أوّل من نبّهني إلى وجودها هي الأستاذة حفيظة بلميهوب، ثمّ تحصّلت على نسخة مصوّرة منها عن طريق الأستاذ عبد المالك كرشوش وكان ذلك يوم الثّلاثاء 25 أكتوبر 2011م.

سنـــة التّأليـــف:

من خلال تصفح المخطوط نجد تاريخين للتّأليف، الأوّل يَرِد في الورقة 47 وجها، وهو يُمثّل انتهائه من التّأليف إلى غاية ذلك الموضع، وكان ذلك في أواخر شهر محرّم عام 847هـ/ 1443م، كما جاء في النّصّ التّالي: "وقد بلغت في جمع هذا الكتاب إلى هذا المحلّ، في أواخر المحرّم من عام سبعة وأربعين وثماني ماية، وعمري يومئذ ستّون سنة، أو إحدى وستّون، جعله الله سبحانه عمرا في طاعته"[1].

التّاريخ الثّاني في الورقة 204 ظهرا، وهو يمثّل انتهاء الثّعالبي من التّأليف ككلّ، وكان ذلك في أواخر ذي القعدة من نفس السّنة إذ يقول: "وقد آن لنا أن نختم كتابنا،

[1]- *الجامع الكبير*، ق 47 و.

أسئل الله سبحانه أن ينفعني وإيّاكم به، ووافق الفراغ من تأليفه يوم الخميس من أواخر صفر عام سبعة وأربعين وثماني ماية"[1].

أسباب التّأليــف

من خلال مجموعة من النّصوص المستقاة من بعض مؤلفات الثعالبي؛ يمكن استنتاج أسباب التّأليف وهي:

- ❖ جمع فوائد مختلفة من غير الالتفات إلى ترتيبها وذلك لتكون فيها زيادة لنشاط النفس البشرية.
- ❖ الحرص على نفع عباد الله بما يبلغهم مرضاته عزّ وجلّ ويجعلهم يفوزون بجنّته وينجون من عذابه وعقابه.
- ❖ الحثّ على الاعتناء بتعريف العالم بمؤلّفاته، وبزمانه، وشيوخه، لكي يكون من يطّلع على تآليفه على بصيرة، ولا يُعتبر مجهولا. فيبيّن أنّ هناك من الفضلاء انتشرت عنهم فضائلهم في حياتهم، لكنّ حالهم جُهِل بعد موتهم لعدم الاعتناء بهذا الشّأن.
- ❖ اهتمامه الخاص بالتّعريف بالعلماء اقتداء بما كان عليه العلماء الّذين سبقوه، أمثال القاضي عياض والقضاعي وابن خلكان وغيرهم، فنجده يعطي قيمة كبيرة للتّعريف بهم، وذكر سيرهم، فنجد النّص المنقول من الجامع، يتحدّث عن فضل الاعتناء بهذا الفنّ.
- ❖ قلّة الاعتناء في زمانه بهذا النّوع من العلوم.
- ❖ اعتنائه بالتّعريف بشيوخه ورحلاته كان من باب الخوف من أن يُجهل حاله بعد مماته، فلذا ترك لنا ما يُعرّف به وبطلبه للعلم.
- ❖ أنّ من بين الأسباب الّتي دفعته إلى تأليف *الجامع الكبير* كون بعض فضلاء أصحابه سأله ذلك فلبّى رغبته.

[1]- المصدر نفسه، ق 204 ظ.

أسلوب التّأليف:

أما عن الأسلوب المتّبع في *الجامع الكبير*، فباعتبار النّسخة رقم 851 بخط يد الثّعالبي فهي لا تُمثّل فقط أسلوبه في هذا المخطوط فحسب، وإنّما تُعطي لنا نظرة عامّة عن المنهج الذي يتّبعه في الكتابة. ويتمثل ذلك فيما يلي:

- ❖ يستخدم كثيرا حرف التّاء "ت". فيكتبها كرمز من رموز الاختصار عوض كلمة " قُلْتُ"[1].
- ❖ يغلب عليه منهج الاختصار خاصّة في تّراجم فقهائه، فهو يختصر قدر الإمكان، فينقل ما يحتاج إليه فقط دون إطالة مملّة، أو اختصار يفقد التّرجمة معناها وروحها[2].
- ❖ سهولة التّعبير، واختيار الكلمات المناسبة والمعبّرة، الموصلة إلى المعنى، وقد نستشف هذه النّقطة خاصّة في نص الرّحلة، ونصوص الإجازات العلميّة، لأنّها تُعبّر عن أسلوبه الحقيقي، باعتبار أغلبيّة التّراجم عبارة عن اقتباسات من مصادر مختلفة.
- ❖ يتصرّف في التّراجم الّتي ينقلها، فيقدّم ويؤخر، ويختصر.
- ❖ الأمانة العلميّة: وتتمثّل في صدقه في نسبة النّصوص إلى أصحابها.
- ❖ يعتمد في التّراجم على ذكر اسم صاحب التّرجمة؛ بلده؛ شيوخه؛ تلامذته؛ تخصّصه مثل قوله: الحافظ، الفقيه، عالم بالنّوازل؛ بعض مراتب الجرح والتّعديل مثل قوله: ثقة، ضابط، متقن، صالح؛ بعض الأخبار والتّفاصيل عن حياة المترجم له مثل الكلام عن زهده، وعن ملبسه ومأكله، وحالته الاجتماعيّة؛ يذكر محطّات رحلة المترجم له؛ وفي الأخير يأتي بخبر وفاته وسنته؛ أمّا عن تواريخ الميلاد فلم يركّز الثّعالبي على ذكرها بقدر تركيزه على ذكر سنوات الوفاة.

---

[1]- يقول الثعالبي في مخطوط **روضة الأنوار ونزهة الأخيار**: "... وجَعلتُ التّاءَ علامةً لنفْسي بَدَلاً من قُلتُ ومن شاء كتَبَها ...". أنظر: ق 2 و.

[2]- يشير إلى هذه النّقطة في "الجامع الكبير" بقوله: " ت وهذا القدر كاف، وقد تركت ذكر كثير من العلماء ممّن قرأت عليه، وكثيرًا من مروياتي خشية الإطالة". أنظر: ق 47 و.

- بالنّسبة لمنهجه في ذكر رحلته، نجده يركّز على أهم المحطّات الّتي زارها، مثل مدينة الجزائر، بجاية، تونس، مصر؛ مع السّنة الّتي دخل فيها كل مدينة أو يضع سنوات تقريبيّة كقوله: "وذلك في أواخر القرن الثّامن"، بالإضافة إلى ذكره لشيوخه الّذين تلقّى عنهم في كل مدينة، وبعض الأخبار الأخرى التي تعبّر إمّا عن خصوصيّة من خصوصيّات المدينة، أو عن أحواله فيها.
- يتميّز أسلوبه في الإجازات العلميّة، بكونه يُبيّن طلبه للاستدعاء، ثمّ يذكر نصّ الإجازة وهو يحتوي على اسم شيخه، والبلد الذي كان فيه عندما طلب الإجازة، والغرض من طلبها مثل الإذن بالإقراء والتّحديث عن الشّيخ، كما تُبيّن نوع الإجازة، ثمّ يذكر العلوم الّتي تلقّاها عن شيخه مبيّنا الكتب في كل فن. وبعد هذا يورد نص لجواب الشّيخ يحتوي على اسم الشّيخ، اسم التّلميذ الّذي طلب الإجازة (في أغلب الإجازات هو الثّعالبي نفسه)، ويبيّن موافقة الشّيخ على ما التمسه منه تلميذه، وفي الأخير يرد تاريخ هذه الإجازة. وفي كلّ من الوثيقتين نجد عبارات المدح والثّناء والتّعظيم سواء على لسان التّلميذ - أي الثّعالبي- أو على لسان الشّيخ.

مصادر الثعالبي في *الجامع الكبير*

اعتمد الثعالبي في الباب الأوّل من كتابه المحتوي على تراجم فقهاء مالكية، رحلته والإجازات العلمية على جملة من المصادر، أهمها *ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك* للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، اقتبس منه الثّعالبي في أغلبية التراجم ما عدا بعض التّراجم هنا وهناك والتّراجم الأخيرة التي تخرج عن المدّة الزّمنيّة التي يتناولها المدارك.

أما عن باقي المصادر في هذا القسم فمنها: *عنوان الدّراية* للغبريني، *التّشوّف إلى رجال التّصوّف* للتادلي الشّهير بابن الزيّات، *قلائد العقيان* للوزير الفتح بن خاقان، *وفيات الأعيان* لابن خلكان، *رياض النّفوس* لأبي بكر المالكي، *طبقات علماء إفريقيّة* للخشني، *تاريخ علماء الأندلس* لأبي الوليد ابن الفرضي، *كتاب أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن أحمد المسيلي* نقل عنه الثّعالبي في ترجمة ابن عطيّة *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، وأشار إليه عند حديثه عن رحلته العلميّة. وكتاب *إكمال الإكمال*

لشيخه الأُبّي، *وتفسير* الشّيخ ابن أبي جمرة، وكتاب *تاريخ الرّواة* لشيخه عبد الواحد الغرياني، *وكتاب ابن الفاكهاني*. هذه المصادر استخدمها في تعليقاته على بعض المسائل.

وأيضا *الدّيباج المذهّب* للقاضي إبراهيم ابن فرحون المالكي[1]، *واختصار المدارك* لمحمّد بن حمادة البرنسي السّبتي تلميذ القاضي عياض، وقد نقل منه الثّعالبي في ترجمة عياض.

بالإضافة إلى **شهادات شفويّة، ومعايشة للأحداث:** فهو يعتمد على بعض الشّهادات الشّفويّة الّتي حدّثه بها بعض مشايخه التّونسيّين، أو بعض فضلاء مصر، أو سماعا من شيخه الأبّي[2].

محتوى المخطوط وقيمتـه العلميــة

يحتوي *الجامع الكبير* على دروب مختلفة من المسائل: تراجم، عقائد، أذكار، زهد. وبالتّالي فهو يضم العديد من الأبواب المختلفة. **الباب الأوّل** ينقسم إلى ثلاث محاور رئيسيّة هي التّراجم، رحلة الثّعالبي، الإجازات العلميّة، وسأحاول إبراز محتويات كلّ منها، مع إعطاء القيمة العلميّة في نفس الوقت، فيما يلي:

أولا: التّراجم

به حوالي مائة ترجمة، تبدأ بترجمة أحمد بن المعدّل، وتنتهي بترجمة أبي عبد الله محمّد بن عرفة الورغمي. والملاحظ أنّه عند نهاية ترجمته، وكأنّ الثّعالبي استرسل في الحديث عن رحلته العلميّة وإجازاته التي أوردها عند الحديث عن وفاة

---

[1]- يبدأ النّقل منه مباشرة بعد انتهاء التّراجم التّي نقلها من *ترتيب المدارك*، ولكنّه لا يُصرّح بنقله منه بأية إشارة، لا باسم مؤلّفه، ولا باسم الكتاب، ولكن من خلال المقارنة بينه وبين المخطوط، نستنتج ذلك، ويمكن لنا أن نحدّد التّراجم التي نقلها منه، وهي: ترجمة أبي الوليد ابن رشد، وأبي عبد الله المازري، وأبي بكر ابن العربي.

[2]- نجد هذا في ترجمته للشّيخ ابن عرفة الورغمي، إذ يقول: "حدّثنا بعض مشايخنا التّونسيّين..."، وقوله: "وحدّثني غير واحد من مشايخنا التّونسيّين [...] حدّثني بعض فضلاء مصر ..."، وقوله: "سمعت شيخنا أبا عبد الله محمّد الأُبي يقول ...". أنظر: *الجامع الكبير*، ق 39 و.

هذا العالِم. إلاّ إن اعتبرنا باب رحلته امتدادا من نوع آخر للتّراجم، باعتبار أنّه يُترجم فيه لنفسه، وأنّه بذكره لإجازاته وثنائه على شيوخه فيها وكأنّه نوع من التّرجمة لهم.

ويمكن لنا قراءة هذه التّراجم من عدّة نّواحي وأبعاد تتمثّل فيما يلي:

أ. البعد الزّمني: فمن النّاحية الزّمنيّة، نجد أنّ أغلبيّتها تنتمي إلى القرن الرّابع الهجري/ 10م، ثمّ الخامس الهجري/ 11م، فالثّالث الهجري/ 9م، بينما نجد ترجمتين فقط ما بين القرن السّادس، السّابع هجري/ 12- 13م، وترجمة واحدة فقط من رجال القرن الثّامن، التّاسع هجري/ 14- 15م، وهي ترجمة ابن عرفة. ومن خلال هذا نستنتج أنّ الثّعالبي كلّما اقترب من الفترة الزّمنيّة الّتي عاش فيها، قلّ عدد العلماء الّذين ترجم لهم، وقد يرجع هذا في الأغلب إلى إعجابه الظّاهر بكتاب *ترتيب المدارك* فحرص على الاقتباس منه، وأغلبيّة تراجم القاضي عياض تنتمي إلى القرون الثّلاثة الأولى الّتي ذكرتها، وربّما استرسال الثّعالبي في ذكر رحلته وإجازاته العلميّة - كما أشرت سابقا- هو الّذي جعله يغفل عن ذكر علماء القرن الّذي عاش فيه.

ب. البعد الجغرافي: يتمثّل ذلك من خلال قراءتها من ناحية البلدان الّتي ينتمي إليها المترجَمُون، إذ أنّ أغلبيّتهم ينتمون للمغرب الإسلامي وخاصّة إفريقيّة وتمثّل 51 ترجمة، وتأتي الأندلس في المرتبة الثّانية بـ 29 ترجمة، فيما تتوزّع باقي التّراجم ما بين المشرق، مصر، بلاد فارس، وصقلّية. نستنتج من خلال هذه الأرقام أنّ الثّعالبي يبدي اهتماما أكبر بعلماء المغرب والأندلس عن غيرهم من العلماء.

ج. الرّحلة في طلب العلم: نلاحظ اهتمام الثّعالبي بإعطاء أخبار عن الرّحلات الّتي يقوم بها العلماء، وذلك لِمَا تحتلّه الرّحلة من مكانة كبيرة، فمن خلالها يستطيع تلقّي العلم من مشارب مختلفة، ولقاء المشايخ والأخذ عنهم، فمن بين مائة ترجم ذكر المؤلّف أربعين رحلة انطلاقاتها مختلفة، ووجهاتها مختلفة، وقد يعود اهتمامه بذكر هذه المسألة إلى كونه هو نفسه كان رحّالة انتقل بين مختلف المدن والأماكن.

د. البعد العلمي: يتمثّل في الإنتاج الفكري الّذي نقله بذكره مؤلّفات المترجم لهم، فمن بين مائة ترجمة، ثلاثة وأربعون ذكر تآليفهم أو أخبارا عن اهتمامهم بالتّأليف أي حوالي سبعين كتاب، أغلبها تنتمي إلى العلوم الدّينيّة وخاصّة الفقه، والحديث، كما توجد بعض الكتب في مجالات أخرى مختلفة مثل التّاريخ، التّراجم، السّيرة النّبويّة، الشّعر، والطّب، وتدخل مسألة إيراده لمراتب الجرح والتّعديل في هذا البعد أيضا، فمن خلالها يُمكن معرفة عدالة المترجم لهم، ومراتبهم في هذا العلم.

هـ. البعد الاجتماعي: يتّضح هذا البعد من خلال ما يذكره من أخبار وتفاصيل عن حياة العلماء اليوميّة، مثل أخلاقهم، مأكلهم، ملبسهم، طريقة ونمط عيشهم.

ثانيا: رحلة الثّعالبي في طلب العلم:

تحتوي الرّحلة على معلومات قيّمة يمكن استخلاصها فيما يلي:

أ. ابتدأ الثّعالبي رحلته في أواخر القرن الثّامن الهجري/ 14م، إلى غاية سنة 820هـ/ 1417م، أي أنّه بقي مرتحلا من مدينة إلى أخرى أزيد من عشرين سنة.

ب. كانت "مدينة الجزاير" كما يُسمّيها هي نقطة انطلاقه، باعتبار أنّ بها مسقط رأسه وهي منطقة يَسِر الوادي المشهور هناك، ومنها انطلق إلى عدد من المدن منها: بجاية، تونس، مصر، مكّة المشرّفة، ثمّ بعد إنهائه لشعائر الحجّ وتحصيله العلمي، يعقد الثّعالبي العزم على العودة، فيذكر لنا خبر عودته إلى مصر، ثمّ إلى تونس، وهنا يتوقّف نصّ الرّحلة فلا يكمل الحديث إلى أن يعود إلى مدينته الجزائر.

ج. من بين أهم المعلومات الّتي نستخرجها من الرّحلة هو احتوائها على أسماء شيوخ الثّعالبي في كلّ مدينة، وهذا يعطينا دلالة عن السّند العلمي الّذي تلقّاه، ولربّما يكون قصد هذه المدن عمدا للقاء هؤلاء الشّيوخ والأخذ عنهم، ما عدى من لقيهم صدفة أمثال الشّيخ ابن مرزوق الحفيد الّذي صادف وجوده في تونس ذهابه إلى البقاع المقدّسة.

د. تحتوي الرّحلة على بعض المعلومات الّتي ذكرها الثّعالبي في خضم حديثه عن شيوخه، أو دخوله لإحدى المدن الّتي زارها، مثل خبر وفاة الشّيخ ابن عرفة عندما دخل العلاّمة مدينة بجاية، وخبر وفاة الشّيخ أبي مهدي عيسى الغبريني وجلوس الشّيخ أبي عبد الله محمّد القلشاني موضعه في القضاء عند رجوع الثّعالبي إلى مدينة تونس، وخبر المنزلة الّتي وصل إليها في علم الحديث، وما فتحه الله عليه فيه.

ثالثا: الإجازات العلميّـة

أورد الثّعالبي في هذا المخطوط مجموعة من الإجازات العلميّة، عددها عشرة إجازات، أغلبها عبارة عن نصوص طلب استدعاء موجّهة منه إلى شيوخه، وهي مرفقة بنصوص إجابات هؤلاء الشّيوخ، الأولى موجّهة إلى الشّيخ أبي عبد الله محمّد بن خلفة الأبّي، طلب منه الإجازة عند عودته إلى تونس. أربعة منها موجّهة إلى الشّيخ ابن مرزوق الحفيد، الأولى سنة 819هـ/ 1416م، والبقيّة في السّنوات الموالية، كما توجد واحدة موجّهة إلى الشّيخ أبي زرعة ولي الدّين العراقي، بتاريخ الأحد يوم عاشوراء 817هـ/ 1414م بمصر، واستدعاءان موجّهان إلى الشّيخ أبي محمّد عبد الواحد بن محمّد بن إسماعيل الغرياني. أمّا البقيّة، فمنها إجازة للشّيخ ابن مرزوق الحفيد من شيخه محمّد بن عبد اللّطيف بن الكويك، وإجازة له أيضا من شيخه عبد الرّحيم بن الحسين بن العراقي على شكل نظم.

ومن خلال هذه النّصوص يمكن استخراج العديد من المعطيات تتمثّل فيما يلي:

أ. معرفة طريقة طلب الإجازة، والصّيغة الّتي كانت تكتب بها: فمن خلالها نستنتج أنّ الطّالب يُحدّث شيخه بأن يمنحه الإجازة، فيطلب منه شيخه أن يكتب نصّ الاستدعاء، وهو يحتوي على: اسم الطّالب، واسم شيخه مرفقا بالعديد من عبارات الاحترام والتّقدير، الشّكر والمدح، كما يحتوي على نوع الإجازة. ويتضمّن الاستدعاء أيضا غرض الطّالب من طلبه مثل: الإذن بالإقراء عمّا حضره عند شيخه، أو لإرشاد غيره، ومع كلّ هذا تتضمّن هذه الإجازات أسماء الكتب الّتي حضرها الطّالب عند شيخه، ومن خلالها نستشف الأمانة العلميّة للثّعالبي، إذ أنّه يحدّد بالتّفصيل ما سمعه أو حضره، مثل قوله: "حضرته عليه قراءة بحث [...] وحضرت كثيرا منه من كتاب

الطّهارة، وأكثر كتاب الصّلاة أو كله [...] وكذلك كثيرا من المدوّنة، متوال وغير متوال، فمن المتوالي: من أول الزّكاة إلى أول النّكاح، وكثيرا من رزمة البيوع"[1]. وبعد هذا يرُدّ الشّيخ بإجازة، غالبا ما يكتبها على ظهر الاستدعاء الّذي قدّمه له الطّالب، تحتوي على اسم الطّالب، واسم الشّيخ، والعبارات الدّالة على القبول مثل قوله: "وقد أذنت له في إقراء ما ذكر، وثوقا بجودة فهمه، وجودة قريحته"[2]. وقوله: "أجزت، سيّدي [...] أبا زيد، عبد الرّحمن ابن محمد بن مخلوف، الثّعالبي [...] جميع ما تجوز لي روايته، وما تصحّ نسبته"[3]. وتحتوي أيضا على التاريخ الّذي حُرِّرَت فيه الوثيقة.

ب. جواز طلب أكثر من إجازة من شيخ واحد: فالثّعالبي هنا تحصّل على أربع إجازات من شيخه ابن مرزوق الحفيد، وإجازتين من شيخه عبد الواحد الغرياني، بل وتحصّل على إجازة لكل ما أُجيز فيه شيخه ابن مرزوق في الإجازة المنظومة من الشّيخ عبد الرّحيم بن الحسين بن العراقي.

ج. تواريخ الإجازات: نستنتج أنّ كل الإجازات الّتي أوردها الثّعالبي تحصّل عليها في طريق العودة من رحلته في مدينتي مصر وتونس، في الفترة من سنة 817هـ/ 1414م إلى سنة 820 هـ/ 1417م.

د. المادّة العلميّة الّتي أجيز فيها الثّعالبي: بالنّظر إلى الكتب الّتي تحتويها نجد أنّه أجيز في أكثر من مائة وخمسين كتابا في مختلف العلوم، يغلب عليها علم الحديث بـ 77 كتابا، وهذا قد يُفسّر تفوّقه في هذا العلم عندما عاد إلى تونس، وقد دَرَسَ حوالي 24 كتابا في الفقه وأصوله، و8 في علوم القرآن، و13 كتابا في السّيرة النّبويّة، فيما تتوزّع باقي الكتب بين الأذكار، علوم العربيّة، التّراجم، الآداب والمواعظ، التّصوّف، وغيرها من العلوم، ومن خلال هذا نستطيع معرفة أهم الكتب المدرّسة في وقته في كل ميدان.

---

[1]- المصدر نفسه، ق 40.

[2]- المصدر نفسه، ق 40 ظ.

[3]- المصدر نفسه، ق 42.

كما أنّها تحتوي على المتون، وعلى الشّروح، والمختصرات، فمن المتون: صحيح مسلم، صحيح ابن حبان، الموطّأ، سنن التّرمذي، سنن الدّارقطني، ومن الشّروح: *شرح السنة* لأبي القاسم البغوي، *شرح معاني الآثار* لأحمد بن محمّد الطحاوي، *شرح الأربعين* لابن الفاكهاني، ومن المختصرات: *مختصر الموطّأ* لأبي الحسن علي بن محمّد بن خلف القابسي، و*مختصر مسلم* لأبي محمّد عبد العظيم المنذري، وغيرها.

أغلب الكتب درسها عن الشّيخ ابن مرزوق الحفيد، وهذا يعود إلى عدد الإجازات الّتي تلقّاها عنه، كما نجد في بعض الأحيان دراسته لكتاب واحد عند أكثر من شيخ، مع عدم الجمود الفكري لذا الثّعالبي ويتمثّل ذلك في عدم اقتصاره على مذهبه المالكي فقط، فإنّنا نجده يغترف من المذاهب الأخرى كالمذهب الحنفي، والشّافعي، والحنبلي.

هـ. **من ناحية مؤلّفي هذه الكتب:** نجد أنّهم ينتمون لفترات زمنيّة مختلفة ممتدّة من القرن الثّاني الهجري/8م، إلى غاية القرن التّاسع الهجري/ 15م، وأغالبيّة من ينتمون لهذا القرن هم شيوخ الثّعالبي، أو شيوخ شيوخه، كما أنّهم ينتمون إلى أماكن جغرافيّة مختلفة من المشرق والمغرب، وبلاد فارس، وفي بعض الأحيان يدرس عدد من الكتب لمؤلّف واحد، مثل كتب النّووي، والنّسائي، والبخاري، والبيهقي، وأحمد بن حنبل، ولعلّ أكثر من درس كتبه هو شيخه ولي الدّين أحمد بن عبد الرّحيم العراقي، ووالده زين الدّين عبد الرّحيم بن العراقي، إذ بلغت كتب الأوّل 22 كتابا، والثّاني 5 كتب، وقد تلقّى الثّعالبي هذه الكتب الأخيرة عن شيخه نفسه.

هذا ما يتعلق بالباب الأوّل، أمّا باقي الأبواب فهي متعدّدة ومختلفة المواضيع، وهي تشكّل أغلبيّة المخطوط، يقوم الثعالبي في كل باب منها بالتعريف به مستعينا بمجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبعض الأشعار وأقوال العلماء فيناقش مختلف القضايا المطروحة.

* * *

من خلال ما سبق نستشف القيمة الكبيرة لمخطوط *الجامع الكبير* للشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي، وإن كان الباب الأوّل منه قد حضي بالدّراسة والتّحقيق، فلا تزال باقي الأبواب في حاجة إلى اهتمام الباحثين والدّارسين، ولذا أتمنّى أن تكون هذه الدّراسة فاتحة لغيرها من الدّراسات التي تهتم بهذا المخطوط وبغيره من مؤلفات الثعالبي ومؤلفات غيره من العلماء.

وفي الختام أقول أنّه على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلت في السنوات الماضية لدراسة وتحقيق ما ألفه الشيخ العلامة أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي؛ إلا أنّ جزء كبيرا ومهما من إنتاجه الفكري لا يزال في حاجة إلى تحقيق، وخاصة مخطوط *روضة الأنوار ونزهة الأخيار*، مخطوط *جامع الهمم في أخبار الأمم*، المحفوظ في خزانة الشيخ عبد الرحمن الجيلالي رحمه الله والذي لا نعرف عنه إلا اسمه وكونه مكتوبا في مجلدين ضخمين، ومخطوط *أنباء أبناء الزمان في النضج برشفة من ترجمة الإمام الثعالبي أبي زيد سيدي عبد الرحمن*، تأليف الشيخ علي بن الحاج موسى (ت 1244هـ/ 1828م)، والمحفوظ أيضا في خزانة الشيخ الجيلالي.